(السيماء والتواصل)

أ . م . د . ميساء صائب رافع

كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

ملخص البحث

يرتبط التواصل اللساني بالحدث الاجتماعي , فمهما اختلفت المجتمعات في ثقافاتها وأنماطها معيشتها , ومؤسساتها , وأنظمتها السياسية تبقى تشترك في حاجتها إلى التواصل والحوار .

- إذ يعد الحوار ركيزة التواصل الإنساني، فكل عملية تواصلية مشروطة بمكان، ومقام، ودورة كلامية. وتعتمد سيمياء التواصل على مبدئين مهمين :

أحدهما : توفر القصد في التبليغ لدى المتكلم .

والآخر : اعتراف متلّقي الرسالة بهذا القصد .

ومعرفة قياس القصد تعتمد على نوعين من الوحدات : أولهما : (الأدلّة) التي من أجلها يتوفر القصد للتبليغ . والآخر : (الإشارات) التي ينعدم فيها القصد في التبليغ . تهتم سيمياء التواصل بالأدلة , بوصفها قناة الاتصال بين المرسل والمتلقّي , وتستبعد الإشارات عن مجال اهتمامها , لأنّها غير مقصودة .

وتقوم العلامة على ثلاثة أسس , هي : الدال والمدلول والقصيد . وشرط ما يعد ضمن هذا النوع من الممارسات هو التعبير عن مراد الشخص وقصدهِ .

(Alsemiae and Communication)

Verbal Communication is linked with the social event no matter how different Communities in their cultures and styles of living and it's intuitions and political systems remain involved in its need . It is a dialogue , a pillar of human Communication , all Communication process conditional on the where a bouts of the shrine and the cycle of words . Semiotics is

based on two principles important to Communicate : one : offer intended to report to the speaker . And the other : The recipient of the message a (know led gment of this intent . And learn to measure intent rely on two types of units ; first is the evidence for which is available for reporting the intent and the other : Signals . semiotics Communicate evidence bother as a channel of Communication between the sender and receiver , and excludes the signals from , And the requirement for what is in this type of practice is the expression of the person and purpose .

خُلِقَ الإنسان وخُلِقت معه حاجته الى التواصل مع أخيه الإنسان في مجتمعهِ أو في مجتمعات أخرى , ومع بدء انتظامهِ في الحياة , ظهرت حاجته إلى التواصل (Communication) , وقد كانت إشاراته البدائية الأولى وانفعالاتهُ الصوتية أولى علاماتهِ اللغوية , هذهِ الإشارات هي أول ما التجأ إليه الانسان لتبليغ ما يجول بخاطرهِ , والذي عُرِف بعلم الحركات " ومقوّماتها علامات ودلالات هي تكملة التشكل الحضري للإنسان ... " (١) .

ولمّد اهتدى الإنسان إلى الكلام , تمكن من الوصول إلى أكثر أشكال الاتصال فاعلية , وبوجود " المنظومة اللغوية الشفاهية , تكون الإمكانية الأولى للتعبير الثقافي قد خلقت بشكلها الأكثر تقدّماً , فمن المؤكَّد أنَّ ظهور اللغة ساعد على انبثاق ظواهر كثيرة لازمت الإنسان وانخراطه في الحياة ... " (٢) .

إذ لا يمكن تصوّر حياة بشرية بدون التواصل , مع الأفراد والجماعات " لأنّه حاجة نفسية ضرورية " (٣) إذ هو المنتج الأول للعلامات التي يحيا في إطارها الإنسان .

التواصل لغة : التواصل في أصل اللغة يعني : الصّلة والترابط والالتئام والإبلاغ والجمع . قال ابن منظور ت (٧١١) هـ : " ... الوَصْل ضِدَّ الهجران ... واتصل الشيء بالشيء : لم ينقطع عنه ... ووصَلَ الشيءُ الى الشيء وَصُولاً وتوصَّل إليه وَبَلَّغَهُ ... ووَصَّله إليهِ وأوّصَلهُ : أنْهاهُ إليهِ وأبْلغهُ إياهُ " (٤) .

التواصل اصطلاحاً : التواصل يعني : عملية نقل الأفكار وتبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات , ويقتضي التواصل بوَصْفهِ نقلاً وإعلامّا :

مرسلاً ورسالة ومستقبلاً وشفرة , يتفق عليها كُلٌ من المتكلم والمستمع . وسياقاً مرجعياً ومقصديه الرسالة .يُعرِّف (تشارلزكولي Charles.Coley) التواصل بقوله:

" التواصل هو الميكانزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور . إنَّه يتضمّن كُلَّ رموز الذهن , مع رسائل تبليغها عبر المجال . وتعزيزها في الزمان .

ويتضمّن أيضاً تعابير الوجْه , وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والتلغراف وكُلَّ ما يشمله آخر ما تمَّ في الاكتشافات في الزمان والمكان « (٥) وللتواصل وظيفتان : معرفية في نقل الرموز الذهنية وإيصالها بوسائل لغوية وغير لغوية . ووظيفية وجدانية : تفعّل العلاقات الإنسانية على المستوى اللفظي وغير اللفظي .

إذ هو العملية التي يتفاعل بها المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة (٦) وترتكز العملية التواصلية على ثلاثة أسس مهمة : (٧)

أ- الموضوع : وهو الإخبار أو الرسالة .

ب- الآلية : وهو الوسيلة المستخدمة في عملية الإرسال المتمثلة في التفاعلات اللفظية وغير اللفظية .

ج- الوجهة أو المقصد أو الهدف (الغاية) : وهو الهدف من التواصل , ومقصديتهُ البارزة (البعد المعرفي أو الوجداني أو الحركي) .

أي أنَّ الاتصال يتمثل في عملية إطلاق (نقل) واستقبال للمعلومات بين طرفين أو أكثر . ويستند التواصل إلى ما يُسمى بـ (التغذية الراجعة Feed Back)

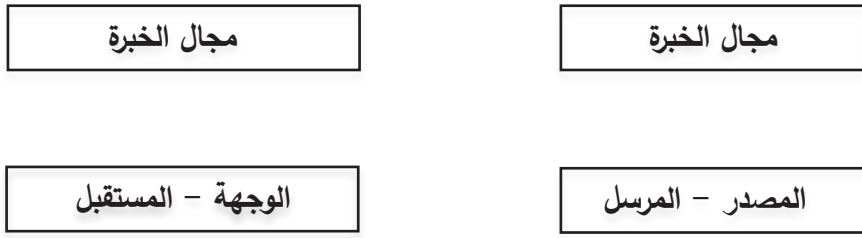

المصدر : أساليب الاتصال والتغيرُّ الاجتماعي ص١٧ .

أنـواع التواصـل: للتواصـل أنواع وأشـكال متعـددة , منهـا : التواصل الاعلامي والفلسـفي , والسـيكولوجي والاجتماعـي , قـال (الدكتـور طلعت منصـور) : « إنّ وظيفة الاتصال تتسـع لتشمل آفاقاً أبعد . فكثير من الباحثين يناولون الاتصال] وظيفة [للثقافة ,] وظيفة [للتعليم والتعلّم و] وظيفة [للجماعات الاجتماعية , و] وظيفة [للعلاقات بين المجتمعات , بل] يُعدّون [الاتصال] وظيفة [لنُضج شـخصية الفرد , وغير ذلك من جوانب توظيف الاتصال « . (٨)

التواصل السيميالي

السـيميالية : هـي ذلـك العلم الذي يُعني بدراسـة العلامـات , وبهذا عرَّفهـا كُلٌّ «فريناند دي سوسـير « و « جورج مونان « و « ميتز « و « تودوروف « و « غرهاص « و « بويسـنس « و « مارتنييـه « و « دوبـوا « و « رولان بـارث « (٩)

وأوفى التعريفات وأوضحها تعريف « جورج مونان « إذ قال محدِّداً السيمياء

(السـيميولوجيا) بأنّـه : « العلـم الذي يدرس كُلَّ أنسـاق العلامات (الرمـوز) التي بفضلها يتحقـق التواصـل بين الناس « (١٠) أي أنَّ السـيميائية تعني :

دراسـة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية (١١) فالسـيمياء « هي علم الإشـارة الدالة مهمـا كان نوعهـا وأصلهـا . وهـذا يعني أنّ النظـام الكوني بكل ما فيه من إشـارات ورموز هو نظـام دلالـة . وهكـذا فـإن آلسـيميولوجية هي الذي يـدرس بنية الإشـارات وعلائقهـا في هذا الكـون ويـدرس بالتالـي توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية « (١٢) أي أنَّ السـيميائية علم أو منهج , إذ هي تدرس العلامات وأنسـاقها (اللسـانية وغير اللسـانية , فضلاً عن أهميتها فـي تحقيق التواصل (التبـادل المعلوماتي)) (١٣).

سبق القول : إن جورج مونان , وبويسنس , ومارتنييه يتفقون على أنَّ العلامة التي جاء بها دي سوسير تتشكّل من اتّحاد (الدال والمدلول والقصْد) في العملية التواصلية , ولاتختص هـذه الوظيفـة بالرسـالة اللسـانية وحدها , بل توجـد في الأنظمة غير اللفظية (غير اللسـانية) , كالإعلانـات والشـعارات واللافتـات وكل مايُسـهم فـي إحـداث التواصل , إذ تشـكل كلٌّ منها علامات ومضامينها رسـائل أو مرسـلات , إذ يُقصي أنصار سـيميولوجيا التواصل سـيميولوجيا الدلالـة التـي تـؤدي وظائـف غيـر وظيفية علـى نحو ما جاء بـهِ (رولان بـارت) , ذلك أنهم يميلـون إلـى دراسـة أنسـاق العلامـات ذات الوظيفة التواصليـة , إذ ان أهم مـا يميّز الوظيفية التواصليـة عـن الوظيفـة الدلاليـة هـو القصدية التي تتجلّـى في الأولى لا فـي الثانية (١٤) .

١- **التواصل اللفظي** : يعتمد التواصل اللغوي على اللغة الإنسانية التي تتألف من الأصوات والمقاطع والجمل التي يطلقها المتكلمون , ويتحقّق التواصل صوتيّاً وسمعيّاً , فاللغة نظام من العلامات الدالّة وعلاقة الدال بالمدلول بمفهوم دي سوسير , التي يتألف منها الخطاب (١٥) , وترى المدرسة التوليدية أنَّ اللغة وظيفتها تعبيرية , وأنَّ التواصل وظيفة من وظائف متعدّدة تؤديها اللغة (١٦) , في حين ترى البنيوية والتداولية اللغة وسيلة للتواصل (١٧) , وترى المدرسة الوظيفية بشقيها الشرقي والغربي أن اللغة وظيفتها التواصل , ويتمثّل هذا الاتجاه أندريه مارتنييه وتتبنّى سيميولوجيا التواصل وظيفة القصدية في العملية التواصلية, يمثل هذا الاتجاه جورج مونان , وبرييطو , وبويسنس , والمدرسة الوظيفية عامة (١٨) .

ويعتمد التواصل اللغوي على علوم لسانية مهمة كعلم الدلالة والسيميوطيقا والسيميولوجيا , ولعلّ مردّ التواصل بلغة إنسانية معيّنة فيما بين متكلميها , يعود إلى أنهم يستخدمون القواعد الخاصة ببيئتهم اللغوية , الأمر الذي يتيح لهم سهولة إرسال واستقبال وتحليل المرسلات اللغوية وهو مما يحدث فيما نسمّيه بشكل التواصل الكلامي (١٩) .

وقبل الانتقال إلى التواصل غير اللفظي لابُدَّ من الإشارة إلى أنظمة التواصل , وهي على النحو الآتي (٢٠) :

١- العلامة : وهي العلاقة بين الدال وهو (الصورة الصوتية) والمدلول (الذهني) , فالخطاب يتشكل من مجموعهما .

٢- الأيقونة : وهو تمثيل محسوس لشيء ما , لأجل بيان خصائصهِ كالصورة الشخصية أو خريطة بلدٍ ما .

٣- المؤشر : كالحمامة رمز السلام , والميزان رمز للعدالة .

٢- التواصل غير اللَّفظي : يعتمد التواصل غير اللَّفظي على الإشارات والحركات والإيماءات إذ تقوم حاسة البصر بدور مهم في العملية التواصلية غير اللفظية , إذ لا يعتمد هذا النوع من التواصل الكتابة أو اللغة الإنسانية وسيلة للتواصل . إذ يكشف التواصل المرئي عن دلالة الانفعالات والعلاقات الوجدانية بين المرسل والمتلقي , كما أنه يعزّز الخطاب اللغوي , عن طريق إغناء الرسالة وتدعيمها بالحركات , لضمان استمرار التواصل بين المرسل والمتلقّي . فالتواصل غير اللفظي مهم في تعميق العلاقات الإنسانية , إذ يكشف رضى الأفراد وانفعالاتهم واستخلاص مميّزاتهم الثقافية والحضارية , بيد أنَّ هذا النوع من الخطاب الذي يعتمد الإشارة والحركة غير كافٍ لإيصال الرسائل بوضوح , فلابد من التواصل

اللفظـي الـذي يرفـع الإبهام عن الرسـالة غير اللفظية فـي العمليـة التواصلية (٢١) .

ولاشـكَّ فـي أنَّ السـيميائيات بحاجـة إلـى معرفـة الأنظمـة التواصليـة , والوقـوف علـى مصطلحاتهـا لفهـم العمليـة التواصليـة (٢٢) .

(الخاتمة)

تمخّض البحث عن جملة من النتائج أهمها :-

١- السـيميائية هـي العلـم الـذي يُعنـى بدراسـة العلامات (اللفظيـة وغير اللفظيـة) , إذا ان لهـا أهميـة كبـرى في تحقيق التواصـل (تبادل المعلومات) . فالسـيمياء تدرس حياة العلامات داخل الحيـاة الاجتماعية .

٢- تعتمد سيمياء التواصل على مبدأين مهمّين , هما :

- توفّر القصد في التبليغ لدى المتكلِّم .

- اعتـراف متلقِّـي الرسـالة بهـذا القصـد , وتتـم معرفة مقيـاس القصد من خـلال التمييز بين نوعيـن مـن الوحـدات : أولهمـا : الأدلّـة ,التـي مـن أجلها يتوفّـر القصـد للتبليـغ . الثاني : الإشـارات , التـي ينعـدم فيهـا القصد فـي التبليغ .

٣- تهتـم سـيمياء التواصـل (بالأدلـة) , بوصفهـا قنـاة الاتصـال بيـن المرسـل والمتلقّـي , وتسـتبعد (الإشـارات) حتـى لـو أثّـرت فـي الآخرة لأنهـا غيـر مقصودة .

٤- القصديـة مـن التواصـل هي الميزة الفارقـة بين الوظيفة التواصليـة والوظيفية الدلالية , إذ ان مـا تعتمـد عليـه سـيمياء التواصل وهي الأدلّة (أداة التواصل بين المرسـل والمرسـل إليه) قـد تعجـز عـن أداء هـذه الوظيفة , لوجـود تمايز بين طبقـات المتُلقين , مثل إشـارات المرور , إذ يخطـئ الأشـخاص فـي فهمهـا , فالاعتماد على الأدلـة وحدها , لا يضمـن نجاح العملية التواصليـة لأنَّ مـا يهملـه هـذا الاتجاه , وهو الإشـارات يتدخّـل في هذه العملية , سـواء أكان بقصد أو مـن دون قصد .

المصـــادر

١ – الاتجاهـــات الأساســـية في علم اللغة (رومان ياكبســـون) ترجمة (علي حاكم صالح وحســـن ناظـــم) , ط١ , المركز الثقافي العربي - الـــدار البيضاء - المغرب ٢٠٠٢ .

٢- أســـس الســـيميائية (دانيال نشـــاندلر) , ترجمة (د . طلال وهبة) , مراجعة (د . ميشـــال زكريا) , المنظمة العربية للترجمة , مركز دراســـات الوحدة العربيـــة , ط١ , بيروت - ٢٠٠٨ م .

٣- تاريـــخ الســـيميائية (آن إينو) , ترجمة (رشـــيد بن مالك) , منشـــورات مخبر الترجمة والمصطلـــح , جامعة الجزائر , ودار الآفـــاق - الجزائر ٢٠٠٤ م .

٤- التواصـــل المفاهيـــم والقنـــوات المفاهيم وأشـــكال التواصل (بناصر البعزاتي) , تنســـيق (محمـــد مفتاح و أحمد بوحســـن) , منشـــورات كلية الآداب والعلوم الإنســـانية , الرباط , ٢٠٠١ م .

٥- حقول سيميائية (محمد التهامي العماري) , منشورات مجموعة من الباحثين الشباب في اللغة والأدب , مكناس - المغرب .

٦- دراســـات فـــي علم اللغة الوصفـــي والتاريخي والمقـــارن (د . صلاح حســـنين) , ط٢ مزيدة ومنقّحـــة , مكتبة الآداب - القاهـــرة ٢٠١٠ / ٢٠١١ م .

٧- سيكولوجية الاتصال (د . طلعت منصور) , عالم الفكر , الكويت ١١ / ١٩٨٠ .

٨- الســـيميانيات مفاهيمها وتطبيقاتها (د . ســـعيد بنكِراد) , ط ٣ , دار الحوار للنشـــر والتوزيع - ســـوريا - ٢٠١٢ م .

٩- الســـيميائية وفلســـفة اللغـــة (أمبرتو إيكـــو) ترجمة أحمد الصمعـــي , المنظمة العربية للترجمة , لبنـــان – ٢٠٠٥ م .

١٠ - علم الإشـــارة الســـيميولوجيا (بييرجيرو) , ترجمة (منذر عياشـــي) , دار طلاس للدراســـات والترجمة والنشر , دمشق , ط ١ , ١٩٩٨ .

١١- علـــم اللغـــة والترجمـــة (جـــورج مونان) , ترجمـــة أحمد زكريـــا ابراهيم , مراجعـــة (أحمد فؤاد عفيفـــي) , ط , المجلـــس الأعلى للنشـــر , ٢٠٠٢ م .

١٢ - لسان العرب ابن منظور ت(٧١١) طبعة ملونة , دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي , بيروت - لبنان .

١٣- اللســـانة الاجتماعيـــة (جولييت غارمـــادي) , ترجمة (د . خليل احمـــد خليل) ط١ , دار الطليعة للطباعة والنشـــر , بيروت , ١٩٩٠ .

١٤- اللســـانيات التوليديـــة مـــن النمـــوذج ما قبل المعيـــار إلى البرنامـــج الأدنوي مفاهيـــم وأمثلـــة (د . مصطفى غلفان وآخـــرون) , ط١ , عالـــم الكتـــاب الحديث , إربـــد - الأردن , ٢٠١٠ م .

١٥ - اللغة وعلانقها (علي ناصر كنانة) منشورات الجمل , بيروت , ٢٠٠٩ م .

١٦ - محاضرات في علم اللغة العام (البدراوي زهران) , ط ١ , دار العلم العربي ,القاهرة , ٢٠٠٨ م .

١٧ - مدخل في اللسانيات (صالح الكشو) , الدار العربية للكتاب , تونس ١٩٨٥ م .

ب - البحوث

١٨- التواصـــل غيـــر الكلامي بين الخطاب العربـــي القديم والنظر الراهن (محمد نادر ســـراج) , الفكـــر العربي المعاصر , لبنـــان , العددان ٨٠ - ٨١ , ١٩٩٠ م .

١٩ - السيمياء عند بيرس (د . عادل فاخوري) , مجلة الدراسات العربية العدد ٦ , ١٩٨٦ م .

ج - المكتب الاجنبية

-:Social organistion (Charles Cooley) , cite in

٢٠ - J.Lohisse : la ; communication anonyme .ED univeritaire , ١٩٦٩ .

الهوامش

(١) ---------------------------------مدخل في اللسانيات (صالح الكشو) ص ٦٤ .

(٢) اللغة وعلائقها (علي ناصر كفانه) ص ٦ .

(٣) التواصل المفاهيم والقنوات (ناصر البعزاتي) ص ١٣ .

(٤) لسان العرب (وصل) ١٥ / ٣١٦ - ٣١٧ .

(٥) (Charles Cooley ,p) Social Organisation.٤٢ , وينظر : أساليب الاتصال والتغيرّ الاجتماعي (د. محمود عودة) ص ٧ .

(٦) ينظر : سيكولوجية الاتصال (طلعت منصور) ص ١٠٧ .

(٧) ينظر : أساليب الاتصال والتغيرّ الاجتماعي ص ١٢ .

(٨) سيكولوجية الاتصال , ص ١٠٨ .

(٩) ينظر : مناهج علم اللغة من هرمان باول حتّى نعّوم تشومسكي (بريجيته بارتشت)

ترجمة (د. سعيد حسن بحيري) ص ١٠١ , ١٥٤ .

(١١) بحث - السيمياء عند بيرسن (د . عادل فاخوري) , مجلّة الدراسات العربية , العدد ٦ , أبريل ١٩٨٦ , ص ١٥ .

(١٢) مقدمة (علم الإشارة - السيميولوجيا) لبييرجيو ص ٩ .

(١٣) ينظر : اللسانة الاجتماعية (جوليت غارمادي) , ترجمة د. خليل أحمد خليل ص٢١ .

(١٤) بحث – سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الإشهاري البصري (عبد الواحد كريمة) ص ٣٩ , مجلَّة الواحات للبحوث والدراسات , مج ٧ , العدد ٢ (٢٠١٤) .

(١٥) ينظر : حقول سيميائية (محمد التهامي العماري) ص ١٧ ومحاضرات في علم اللغة العام (د . البدراوي زهران) ١٠٠ / ٣٠٢ .

(١٦) ينظر : اللسانيات التوليدية د . مصطفى غافات وآخرون , ص٤٨ , ٤٩ .

(١٧) ينظر : التداولية علم استعمال اللغة (د . حافظ اسماعيل علوي) ص ١٧ .

(١٨) ينظر : مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى (نعوم تشومسكي) ص٦٩ وما بعدها .

(١٩) بحث (التواصل غير الكلامي بين الخطاب العربي القديم والنظر الراهن) الفكر العربي المعاصر - لبنان , العددان ٨ /٨١ - ١٩٩٠ ص٨٤ .

(٢٠) ينظر : أسس السيميائية (دانيال تشاندلر) ص ٤٥ , والسيميائية وفلسفة اللغة (أمبرتو إيكو) ص ٨٤ , وتاريخ السيميائية (آن إينو) , ترجمة رشيد بن مالك ص ٢٦ .

(٢١) ينظر : حقول سيميائية (محمد التهامي العماري) ص ١٧ , والاتجاهات الأساسية في علم اللغة (رومان ياكبسون) , ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم ص ٧١ .

(٢٢) ينظر : دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن (د . صلاح حسنين) ص ١٧ .